

وبوسعنا أن نحدد النقاط التي أضافها إلى دراسة الموضوع الأول ، في ثلاث هي : تشبيه التمثيل ، أسس بلاغة التشبيه ، التخيل .

فيما يتعلق بالموضوع الأول نرى أن عبدالقاهر سلك طريقا غير التي سلكها قبله ابن طباطبا والرماني ، وهما أبرز من تحدث عن التشبيه ، فلم يقف عند كون وجه الشبه في واحد من اللون أو الحركة أو الصورة أو في اثنين منها أو فيها مجتمعة كما صنع ابن طباطبا ؛ ولم ينظر إلى الغاية من التشبيه وهي إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة .. إلى آخر ما ذكر الرماني وأوضحناه من قبل ، وإنما اتجه اتجاها آخر أكثر عمقا من الناحية الفنية ، وهو مدى تحقق وجه الشبه فعلا في كلا الطرفين ، وأسفر بحثه في هذا الصدد عن أن هناك نوعين من التشبيه ، أحدهما نرى فيه وجه الشبه قائما بالفعل في كلا الطرفين ، بأن يكون مدركا بإحدى الحواس الخمس ، أو أمرا عقليا راجعا إلى الفطرة ، وهذا النوع يسميه « التشبيه الصريح » أو « التشبيه الحقيقي الأصلي » . النوع الثاني ، لا يتحقق فيه وجه الشبه فعلا في كلا الطرفين ، وإنما يوجد في أحدهما على الحقيقة ، على حين يوجد في الآخر على التأويل ، كقولنا « ألفاظ كالعسل في الحلاوة » فالحلاوة كائنة في العسل ، ولكنها ليست كائنة بهذه الصفة عينها في الألفاظ السهلة الواضحة . وهذا النوع يسميه عبدالقاهر « التمثيل » أو « تشبيه التمثيل » . وأحيانا يطلق على هذا الشبه اسم « الشبه العقلي » باعتبار أن عملية التأويل تتم عن طريق العقل . وقد صرح في بعض المواضع بأن التمثيل تشبيه من طريق العقل (١٥٧) ، وأحيانا أخرى يقول إن الشبه في التمثيل معنوي (١٥٨) .

ومن البين اختلاف مفهوم « تشبيه التمثيل » عند عبدالقاهر عنه عند جمهور البلاغيين ؛ ذلك أنهم يقصرونه على ما انتزع وجه الشبه فيه من عدة أشياء ، أي أنهم يشترطون التركيب في وجه الشبه ، في حين أن عبدالقاهر لا يشترط ذلك فقد يكون وجه الشبه في هذا النوع من التشبيه مركبا ، وقد يكون مفردا ، فالمعول عليه دائما أن يكون بحاجة إلى تأويل وصرف له عن ظاهره .

(١٥٧) انظر أسرار البلاغة (تحقيق رشيد رضا) ص ٦٦ - ٧٥ ، ١٩١ ، وانظر أيضا كتابي التعبير البياني ، دار الفكر العربي ، ط ١٩٨٢/٢ ص ٢٧ - ٢٩ ، ٤٧ - ٥٤ .
(١٥٨) انظر أسرار البلاغة ص ١٠٩ .